(٢٦) ونؤمن بعذب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المؤلف رحمه الله: ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه؟ ودينه؟ ونبيه؟ على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

فإن معشر طلبة العلم وطالباته ومن بلغ بين يدي موضوع شريف ومقام خطير، ينبغي أن يحتل من القلب مكاناً، وأن ينال من العقل مجالاً، إذ أنه أمر جسيم نحن مقبلون عليه، وقلّ من يفكر فيه تفكيراً جدياً، مع أنه آت لا محالة، ذلكم هو البعث وما أخبر الله تعالى مما يكون، مما يكون بعد الموت، **فالإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها**، وكثيراً ما يقرنه الله تعالى بالإيمان به، فيقول الله تعالى: **{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧]** ، **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: ٢١]** ، **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ٦٢]** ، ونظير هذا كثير، فيقرن الله تعالى بين الإيمان به وبين الإيمان باليوم الآخر، ولهذا كان هذا الأمر من كبريات القضايا التي نازع فيها المشركون، فقد كان المشركون يأبون إثبات البعث: **{وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً (٥٠) أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ}[الإسراء: ٤٩]**، وحكى الله تعالى عن أحدهم، وهو أبيٌّ بن خلف، وهو أبيُّ بن خلف، أنه أتى النبي ﷺ بعظم رميم ففته وقال: أتزعم يا محمد أن ربك يحيي هذا بعد أن صار رميماً؟ قال: (نعم، ويبعثك ويدخلك النار)، وأنزل الله تعالى في هذا قوله: **{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } [يس: ٧٨، ٧٩].**

ومن تأمل القرآن المكي وجده مذخوراً بإثبات البعث وإقامة الأدلة الحسية والعقلية على إثبات البعث بعد الموت، ولا ريب أن الإيمان باليوم الآخر له أثر كبير في سلوك الإنسان، فإنه لولا الإيمان باليوم الآخر لما نشط المجتهدون في العبادة، ولما انزجروا عن الغواية، وبفقده يحصل الضد، فإن من لم يؤمن بالبعث لم يعنه ما يكون من، من مسلكه، لأنه لا يرجو بعثاً ولا نشوراً، فتجده لا يرفع رأساً بفعل الطاعات، ولا ينزجر عن المحرمات، **واعلموا – يا رعاكم الله– أن بني آدم حيال قضية المبدأ والمعاد قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام:**

فمنهم من أثبت المبدأ والمعاد: وهم أهل الإيمان أتباع الرسل، أثبتوا المبدأ والمعاد: أي أثبتوا أن الله تعالى هو الذي خلقهم، وأن الله تعالى هو الذي يعيدهم.

وضد هؤلاء تماماً الفلاسفة الملاحدة، الذين قالوا بقدم العالم وخلود العالم، فهؤلاء الفلاسفة يزعمون أن العالم قديم قدماً غير متناه وأنه متسلسل إلى ما لا نهاية. فهؤلاء هم الفلاسفة القائلون بقدم العالم وخلود العالم.

والصنف الثالث: مشركوا العرب: الذين أثبتوا المبدأ وأنكروا المعاد. فمشركوا العرب لئن سألتهم من خلقهم؟ ليقولن: الله. لكنهم ينكرون المعاد ويقول قائلهم: أرحام تدفع، وأرض تبلع، **{وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } [الجاثية: ٢٤]**. كما حكى الله ذلك عن الدهرية: **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } [الجاثية: ٢٤]**. فالناس على هذه الأفهام.

وهناك مقالات ترد إلى هذه الأقوال، مثل: مقالة التناسخيين: القائلين بتناسخ الأرواح. **كالهندوس والبوذية ومن خلفهم من الأمم الشرقية**، فإنهم –والعياذ بالله– يزعمون أن الروح، أن المرء إذا مات ارتفعت روحه ثم انتسخت في جسد آخر، ويرتبون الثواب والعقاب على نوع انتساخ، فإن كان مسلكه في الدنيا الأولى حميداً انتسخت روحه في جسد راق، وإن كانت روحه، أو كان سلوكه خبيثاً عوقب فانتسخت في جسد وضيع، كالحشرات والهوام وما أشبهها. وعلى هذا الهندوس والبوذية ومن على شاكلتهم، وإن اختلفت عباراتهم.

والعجيب أن بعض الأوربيين ومدعي الحضارة يعتقدون مثل هذه العقائد، ويؤمنون بدورات متعاقبة للحياة، كل ذلك فراراً من إثبات البعث الذي عليه أساس كل دين بعث الله به نبيه، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: **أنه ما من دين بعث الله به نبياً إلا قام على هذه الأصول الثلاث: الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح. أخذاً من قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا} [البقرة: ٦٢] {صَالِحاً}**، وفي هذا أبلغ الرد على المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان، فقد جعل الله العمل قرين هذه العنصرين والركنين الأصيلين: الإيمان بالله واليوم الآخر، فقرن بهما العمل الصالح.

فيه أدلة أخرى ليس هذا موضع بسطها، لكننا في هذا المقال نذكر هذا الركن العظيم: الإيمان باليوم الآخر، وندعوا أنفسنا إلى استحيائه في القلوب لعظيم أثره في سلوك الإنسان واستقامته وتقاه، فإن من قوي إيمانه باليوم الآخر انضبط: فمن كان يرجو الله، **{ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: ٢١]** ، فهذا الذي يقوم بالقلب هو الذي يضبط السلوك ويهذب الخلق ويحمل النفس على معالي الأمور ومكارم الأخلاق، وينهاها عن سفسافها.

ولا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا بانتظام أربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بما يكون في القبر. وقد أدخلنا الإيمان بما يكون في القبر بالإيمان الآخر لأنه القيامة الصغرى للإنسان، الموت هو القيامة الصغرى للإنسان، فمن مات فقد قامت قيامته، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في عقيدته الواسطية، لما ذكر الإيمان باليوم الآخر وأن من أصول أهل السنة الإيمان باليوم الآخر قال: وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت. فدخل في ذلك الإيمان بما يكون في القبر.

الثاني: الإيمان بالبعث.

الثالث: الإيمان بالحساب.

والرابع: الإيمان بالجزاء. وهي الجنة أو النار.

هذه الأمور الأربعة تنتظم مفردات الإيمان باليوم الآخر، فلننظر فيما قرر الشيخ –رحمه الله–.

قال –رحمه الله–: ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً: ومراده بذلك عذاب القبر ونعيمه، عذاب القبر ونعيمه، ليس العذاب فقط، فقد دلت النصوص القرآنية والنبوية على هذا الأمر، وأشار أيضاً إلى مقالات الصحابة –كما سيأتي–.

فقد **دل القرآن على إثبات عذاب القبر** في غير ما آية، فمن ذلك قول الله تعالى –وهو من أصرحها– عن آل فرعون: **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: ٤٦]** ، فعُلم أن ذلكم العرض على النار غدواً وعشياً يسبق إدخالهم للنار، فلا يكون إلا في حال البرزخ.

الثاني –من أدلة القرآن–: قول الله عز وجل: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]**: قال بعض السلف ومنهم الإسماعيلي -رحمه الله-: إن هذا دليل على إثبات عذاب القبر. وإن كان معظم، أو عامة المفسرين يحملون قوله: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]**: أي أنه في هذه الدنيا لا يقر له قرار وإن سكن القصور وتمتع بالحور ونال جميع ما تهفو إليه نفسه من غاية الأمور، فإن نفسه في شقاء، ف، يعني أنه يعيش في نكد داخلي، لكن الإسماعيلي –رحمه الله– وغيره من العلماء قالوا: إن المراد بذلك عذاب القبر، لأننا نرى في هذه الدنيا من أهل الدنيا من يعيش في طرب وفرح ومتعة وسرور ونحو ذلك فلا تكون هذه الحياة الضنك إلا في البرزخ.

على كل حال هذا استنباط له حظ من النظر.

ومن ذلك: قول الله تعالى: **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]** ، كيف ذلك؟ **معظم المفسرين يفسر العذاب الأدنى بما وقع لهم يوم بدر، والعذاب الأكبر بما يقع يوم القيامة**. ولكن ابن عباس رضي الله عنه قال: **إن العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والعذاب الأكبر عذاب الآخرة**.

ويشكل على هذا تتمة الآية؛ إذ أنه قال في آخرها: **{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**، وما كان هذا ليغيب عن بال ابن عباس رضي الله عنه، فيكون المراد: أن وعيد الله تعالى لهم بهذين الأمرين في الدنيا مدعاة لاعتبارهم ورجوعهم، يعني إذا قيل لهم: إن من ورائكم عذاباً أدنى هو عذاب القبر، ومن، وعذاب أكبر هو عذاب النار. كان هذا مدعاة لرجوعهم، وإلا فلا شك أن إذا ذاقوا فإنه لا سبيل لهم للرجعة.

ومثل ذلك قول الله تعالى: **{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠]** ، هذا دليل على أنهم يتلقون هذا العذاب عند قبض الأرواح، فهذا يؤسس لإثبات عذاب القبر على هؤلاء الكافرين.

هذه جملة من أدلة القرآن على إثبات عذاب القبر.

وأما من السنة: فمن أصرحها حديث ابن عمر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى، إنه لكبير)، يعني أن نفيه الأول: (وما يعذبان في كبير)، يعني فيما يشق عليهما الاحتراز منه، ليس أمراً صعباً، يمكنهما أن يتقياه، لكنه كبير عند الله، (بلى، إنه لكبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرأ من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة)، ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم جريدة فشقها وغرز على كل قبر واحدة وقال: (أرجو أن يخفف عنهما ما لم تيبسا). فدل ذلك على إثبات عذاب القبر لعصاة الموحدين.

ومما يدل على إثباته من السنة: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من عذاب القبر، كقوله: (تعوذوا بالله من عذاب القبر)، وتعليم الاستعاذة بالله من أربع: (اللهم: إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر)، في آخر الصلاة.

ومن ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع نفر من أصحابه راكباً بغلته، فمر بستة أو سبعة أقبر، فحادت به بغلته حتى كادت أن تلقيه، فالتفت فإذا بستة أو سبعة أقبر، فقال: (قبور من هذه؟)، فذكروا أناساً ماتوا في الجاهلية، فقال: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من أصوات أهل القبور ما أسمع)، يعني أنكم لو سمعتم بهذه ما دفن بعضكم بعضاً، للهول والرعب الذي ينشأ لو سمع الناس هذا العذاب.

ومن أدلته: حديث البراء المشهور، وأصله في الصحيحين: أنه إذا، أنه (يأتيه ملكان فيسألانه عن ربه؟ وعن دينه؟ وعن نبيه؟) ويكون الجواب الكافر أو المرتاب أو الشاك: (هاه هاه، لا أدري، فيضرب بمزربة من حديد، فيصيح بها صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلان).

وأدلة أخرى في هذا كثيرة: كقول النبي ﷺ حين سمع صوتاً عشية يوم قال: (هذه يهود تعذب في قبورها).

وقد كان النبي ﷺ بادئ الأمر لم يعلم بوجود عذاب في القبر، حتى قالت له عائشة رضي الله عنها: إن فلانة –يهودية- تدخل عليها قالت لها: وقاك الله، وقاك الله من عذاب القبر، فلما قالت ذلك للنبي ﷺ فزع، ثم بعد ذلك أخبرها بأن عذاب القبر واقع، وقال: (إن يهود تعذب في قبورها)، أو: (هذه يهود تعذب في قبورها).

فنؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً: وأهله صنفان:

إما كفار: فعذابهم عذاب دائم.

وإما بعض عصاة الموحدين الذين استوجبوه: فعذابهم عذاب منقطع.

فما الذي يقطعه؟ يقطعه إما صدقة جارية دام نفعها حتى غمر تلك المعصية، أو دعاء صالح حصل من ابن له، ولد صالح دعا له فكشف الله عنه ونفس عنه، وإما برحمة أرحم الراحمين يكشف الله تعالى هذا العذاب، ثم إن ما يحلق المؤمن من عذاب القبر يكون مخففاً، أو مسقطاً لعذاب النار، وهذا أحد المكفرات التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-.

فنؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً: ونؤمن أيضاً بنعيم القبر لمن كان له أهلاً، والمنعَّم في قبره هم المؤمنون، فقد دل حديث البراء بن عازب رضي الله عنه على أن (**المؤمن إذا وضع في قبره، أتاه رجل حسن الهيئة طيب الريح، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الذي يأتي بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. ويُفتح له باب إلى، باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها ونعيمها**)، وبالمقابل: فإن الكافر يحصل له ضد ذلك.

قال: وسؤال منكر ونكير: نعم، هما الملكان اللذان وكل الله إليهما فتنة الناس في قبورهم، فقد قال النبي ﷺ: (إنكم تفتنون في قبوركم قريباً من فتنة المسيح الدجال)، أعاننا الله وإياكم وثبت قلوبنا وقلوبكم: **{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]** ، قرأها النبي ﷺ عند ذكره لسؤال الملكين، **{وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]** ، (فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، والإسلام ديني ونبي محمد، وأما الكافر فيقول: هاه، أو المنافق أو الشاك أو المرتاب -هكذا جاء في النصوص- سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته) وفي هذا إيقاظ لكل مسلم أن يعي دينه عن بينة، وألا يكون إمعة يقول ما يقول الناس دون وعي، فإذا قلت: ربي الله، والإسلام ديني،

ونبيي محمد. إذا قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فع ما تقول، لأنك تُسأل عنه وتزلزل زلزالاً شديداً، فلا ينطق إلا ما كان قد رسخ في القلوب، وأما ما كان لا يجاوز التراقي فإنه يتطاير ويقول صاحبه: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

قال: وسؤال منكر ونكير: وقد ثبت في حديث حسن، حسنه بعض أهل العلم هذين الاسمين لهذين الملكين، ويروى أحاديث في صفتهما وأنهما على هيئة مزعجة موحشة، لكن في أسانيدها مقال.

قال: في قبره عن ربه؟ ودينه؟ ونبيه؟ على ما جاءت الأخبار عن رسول الله وعن الصحابة رضوان الله عليهم: إذن الواجب علينا فيما يتعلق بالإيمان بالقبر أمران:

الأمر الأول: الإيمان بفتنة القبر وبسؤال الملكين للميت عن ربه؟ ودينه؟ ونبيه؟.

الأمر الثاني: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

واعلموا –يا رعاكم الله– **أنه لا تجوز معارضة النصوص الصريحة بمحض العقول والأدلة المادية،** كقول بعض الملاحدة والزنادقة: لو كشفنا عن الميت في قبره لوجدناه على الصورة التي دفناه عليها لم يتغير القبر بسعة ولا ضيق، ولا تغير حاله، لو وضعنا على صدره الخردل ووضعنا على عينه الزئبق لوجدناهما على حالهما –وإنما مثلوا بالخردل والزئبق لاضطرابهما الشديد عند الحركة– لوجدنا كل شيء على ما هو عليه، ولم نجد أن قبراً قد تضايق، ولا أن قبراً قد امتد، وكيف يمتد قبر والقبور متجاورة؟ وكيف؟ وكيف؟ وكيف؟. ثم يطرحون سلسلة أو سيلاً من الإيرادات المادية على هذه النصوص الغيبية.

فيقال لهؤلاء الزنادقة: إن **ما نطق به الشارع فهو حق على حقيقته،** والواجب على كل مؤمن أن يتأدب مع كتاب الله، ومع سنة نبيه ﷺ، ولا يجعلهما محلاً للفحص والنظر، إن راق له قبلهما، وإن نبا عن سمعه ردهما، ما هذا بإيمان، ومن كان لا يؤمن إلا بعقله فهذا ليس مؤمناً بالله ورسوله، وإنما مؤمن بعقله، هذه واحدة.

الأمر الثاني: أن نقول لهم: إن الشارع إنما أخبر أن هذه الأهوال يجدها الميت، ولم يقل أنها يجدها الحي، فالميت هو الذي يجد السعة والضيق والفرح والسرور أو الحزن ونحوه، وليس الحي، فالذي يجد هذه الأوصاف هو الميت، فكيف تُنازعون في أمر خلاف ما أخبر به الشارع؟ الشارع لم يقل: إنك لو كشفت القبر لوجدته كذا. وإنما قال: إن هذا أمر يجده الميت.

الأمر الثالث: أن يقال: إن لكل دار أحكامها. فالدور ثلاثة: دار الدنيا ودار البرزخ ودار الآخرة، فدار الدنيا لها أحكام تخصها، ودار البرزخ لها أحكام تخصها، والانتقال من دار إلى دار يغير الطبائع والأحوال، فليس لكم أن تجروا معايير دار على دار. هاهم الناس في دنياهم حينما ينتقل أحدهم من دولة إلى دولة تختلف عنده

الأنظمة والإجراءات، وهو يتعدى خطاً حدودياً وهمياً، يدخل من بلد إلى بلد فتختلف الأنظمة في حقه، فكيف بدار البرزخ مقارنة بدار الدنيا؟ فما تتحدثون به من أدلة مادية إنما هي أدلة مادية تقاس بحياة الدنيا، وأما حياة البرزخ فلها ما يخصها، كما أن حياة الآخرة في الجنة أو النار لها ما يخصهما، ألم يقل الله عز وجل: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، مع أن الأسماء هي الأسماء، فيها عسل وماء ولبن وخمر وحور ودور ... إلى غير ذلك من أنواع النعيم، الأسماء هي الأسماء، ومع ذلك الحقائق مختلفة.

الأمر الرابع: في الرد على هؤلاء الزنادقة الملاحدة: أن يقال: ثم أدلة حسية تدل على إمكانية هذا الأمر الذي كبر عليكم وشرقتم به. ها هو النائم ينام النومة فيرى تارة في منامه أنه فساح فساح، وأنه في نعيم وبساتين وخضرة ونضرة وعيش طيب، وربما يرى أنه يأكل ويشرب ويجامع، ويحصل له من أنواع التلذذ وهو في فراشه، وربما استيقظ وهو يجد أثر ذلك في نفسه، يقوم هنيئاً مرتاحاً، يحس بأثر ذلك النعيم الذي يراه، الذي رآه في منامه، أليس هذا واقعاً يجده الإنسان من نفسه، ويقع العكس، ربما ينام الرجل النومة فيتسلط عليه الشيطان بكوابيسه وأحلامه المزعجة فرأى أنه يهرب ويفر ويُلحق، ويتألم ويضرب ويجوع ويعطش، يجد أصناف العذاب، حتى إنه ليستيقظ وهو يلهث أحياناً، وربما دقات قلبه متسارعة، وربما أنه يحس بنوع حرارة وألم، وهو في فراشه لم يتعداه، فهذا مثال حسي يقرب هذا الأمر.

فالنوم أخو الموت، لكنه أخوه الأصغر، كما في الحديث: (**النوم أخو الموت**)، فإذا كان هذا يقع في الدنيا، ينام الإنسان النومة ويكون في حال، وينام أخرى ويكون في حال، وهو لم يغادر مكانه ولم يتغير في فراشه من سعة إلى ضيق، ويبلغ الآفاق، ومع ذلك فهو أمر محسوس يجده كل إنسان. فهذا يقرب ما يتعلق بالموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن.

ثم يقال أيضاً في الرد عليهم: **أنه ربما أرى الله تعالى بعض عبادة شيئاً من نعيم القبر وعذابه،** فإنه يُحكى في هذا حكايات، ولا مانع أن يصح بعضها، ذكر ابن القيم –رحمه الله- في كتابه الروح جملة صالحة من هذه القصص رواها عن أبي الحق الإشبيلي وغيره، وروى بعضها هو عن من يثق به: أن من الناس من يُرى شيئاً وطرفاً من عذاب القبر ونعيمه، لكن هذا أمر يكون عارض ولبرهة، لا يكون على سبيل الدوام، وبهذا يتبين لكم خطأ الاستدلال بالقصة التي يذكرها بعض الدعاة من أنه وجد ثقب في سيبريا، وأنه وضعت أجهزة تصنت عليه، وسجل فيه أصوات لغط رجال ونساء حللت الأصوات بشرية، وأن في ذلك دليل على عذاب القبر، وأن هؤلاء هم المعذبون في الدركات السفلى من الأرض، حيث الأرواح تكون في سجين. مثل هذه القصة لا تصلح أن تكون

دليلاً على إثبات عذاب القبر، لأن مقتضى هذه القصة أن يكون ذلك من علم الشهادة وليس من علم الغيب، بحيث أن كل من شاء أن يتطلبه وجده، ما دام أن هذا ثقب معروف، وما دام أنه يمكن أن تسمع الأصوات من خلاله قد انتقلنا من علم الغيب إلى علم الشهادة، ونحن نعلم أن الإيمان بما يكون في القبر يتعلق بعلم الغيب لا بعلم الشهادة، فالله تعالى وإن أرى عباده أو بعض عباده طرفاً منه أو بعضه فإن هذا لا يقع على سبيل الدوام بحيث نندب كل أحد في أي وقت إلى ذلك الموضع ونقول: اسمع.فالذي يظهر أن هذه الأصوات التي قيل عنها: بأنها لغط، وأنه عند التحليل هي أصوات بشرية. أن الأمر ليس كذلك، وإنما هي تردد الهواء في طبقات الأرض، وهذا أمر يعرفه الناس، حتى في البرية يوجد ما يسمى بالدحل، أو الدحول، تكون ثقبها في الأرض بسبب سقوط شهاب من السماء أو غيره، ويخرج منه هواء، ويكون له صفير أحياناً وصوت، فلعل هذا إن كان عميقاً جداً أن تصدر منه هذه الأصوات.

وبهذه المناسبة فإني أدعو طلبة العلم إلى عدم التعويل على الأمور المدهشة والأمور الحادثة وتعليق الناس بشيء عما قليل يتشبثون به فيسقط، إذا أردت أن تبني عقائد الناس فاربطهم بأصل وثيق، واجعلهم يتمسكون بعروة وثقى، وهي نصوص الكتاب والسنة، لا تحلهم على غيرها، إلا أن يكون شيئاً صحيحاً فيكون على سبيل الاستئناس... لا على سبيل التأصيل، فما قد يأتي به بعض الناس من المدهشات والقصص وغير ذلك يعني يجب أن يمحص، وألا يكون هو شغل طلبة العلم: انشر تؤجر، دون فحص وتمييز، بل عليهم أن يعتنوا بدلالة الكتاب والسنة رأساً، وأما الأخبار فما صح منها قُبل، وما كان يعني مخالفاً للعقل أو للنقل فإنه يرد ولا يحال عليه، وفي نصوص الكتاب والسنة –بحمد الله– غنية وكفاية عن الاشتغال بمثل هذه الأشياء.